المخطوط الثاني

مخطوط العمل في الإرساليات بخط يد الأم ماري الفونسين دانيل غطاس لم يحصل فيه تلف كالمخطوط السابق.

المخطوط الثاني– مخطوط رقم 2 – هو مخطوط منسوخ بخط يدها وبقي محفوظا في الرهبانية منذ ذلك دون أن يتعرض للإتلاف أو للحرق كسابقه والحمد لله. الأم الفونسين تشرح فيه سير العمل في الإرساليات الأولى التي افتتحت على يدها تقريبا وتصف المشاكل والصعوبات التي عاشتها أخواتنا الراهبات في عهد التأسيس مثل يافا الناصرة، بيت ساحور، السلط، بيت لحم ... الخ .

وصف الحياة الرسولية للراهبات الأوائل في الإرساليات

يافا الجليل سنة 1884

تابع ما كتبت في سنة 1878 ألف وثمان مائة وثمانية وسبعين. فشكر لكرمه تعالى على منحه إيانا هذه النعمة العظيمة، بأن نعلّم الفقراء في المرسليات، التعليم المسيحي المقدّس، توجهنا صحبة قدس مؤسسنا الجزيل الاحترام الخوري يوسف طنوس. فاستقبلنا حضرة الخوري اسعد لومبردو، بغاية الإكرام وفرح أهل البلد. فبعدما ارتحنا من تعب السفر، ابتدأنا بتعليم البنات. فكان عددهن نحو خمسة وثلاثين. فصرن يتقدمن في القراءة والكتابة والأشغال اليدوية، بكل نشاط وحب وعبادة، نحو أمّنا سيدة الوردية، حيث سلمناهنّ لقلبها الوالدي الحنون. إن المعلمة التي كانت قبلنا قد دخلت رهبنتنا حالا وسمّت الأخت كلير. أمّا محلّنا كان ضيقا وويحش بيتا متروكا للمدرسة، وقوضة (غرفة) صغيرة جدّا وضعنا تختين لنوم صغار. أما في النهار نضبُّ واحدا لكي نضع الميدة (طاولة السفرة) للأكل. " ففي فقرنا وضيق محلّنا كانت تعزيتنا وبسطُنا" . ونضحك ونقول إلى أبينا ومؤسسنا:" يا ما أحلى وأريح عيشة الفقر."

أما أمنا الحنونة فكانت تعزيتنا بوفور عبادتها الحلوة، ونقول لحضرة أبونا:" لا تحزن علينا، نحن نقول أبانا الذي في السماوات فهو يرزقنا ."

فلما توجهنا لزيارة النصرا (الناصرة) وقبّلنا تلك الأعتاب المشرّفة بتجسد ابن الله الحبيب حظينا برزق عجيب، حين زيارتنا دير راهبات القديسة كلارا. فإحدى المبتدئات حنّت علينا وأعطتنا أربع مائة فرنك لكي نشتري أثاثاً لديرنا. وحضرة الرئيسة جمعت الراهبات في الكنيسة ورتلّن " تعظم نفسي للرب " شكرا لله.

وحمدا لمريم البتول على أن راهبات الوردية فتحن ديرا في يافا الجليل. ثم الأم الرئيسة أعطت لحضرة الخوري لويز مونيه (مصاري) ألفين وخمسة وعشرين فرنكا لكي يعمرّ لنا بيتا في دارنا حتى تتوسع وتتحسن سكنتنا، فالشكر للعناية الإلهية أمنا سيدة الوردية. حينئذ المدرسة أخذت بنجاح فايق وقد ترتبت أخوية الوردية للبنات والنساء. وكنّا نتعجب من ضعفنا وجهلنا، وتجري كل هذه الأمور بسهولة.لكن كنّا نحس أمنا الوردية تعمل معنا. وحيث كانت عادتنا نتلو الوردية في الطرقات، جميع الناس كانوا ينادوننا راهبات " السلام لك يا مريم ". أما في النساء العبادة كانت باردة جدّا، وعدّة مرّات كنّا نلتزم أن نروح إلى البيوت نعزمهنّ لاستماع القداس يوم الأحد، لأن دقّ الجرس ما كان كافيا لتحركهنّ للحضور. ولما كنّا نحثهنّ على رسم إشارة الصليب حين دخولهنّ الكنيسة، فكنّ يعتذرن أن هذا شيء يوجع الأيدي كل مرّة رسم إشارة الصليب وقلة الاكتراث في أمور الديانة كانت هناك عادة. فلما تمّ عمار وتصليح محلنا، لزم تنظيف الأرض من الشيد، فلهذا لزم الأمر إرسال بعض البنات لنشل الماء من البير. والأخت كترين بالمناظرة عليهن. ثمّ أتت البنت " نصيرة " متأخرة عن وقت المدرسة، فمضت لتساعد تلك البنات بنشل الماء. فمن عجلتها سقطت

في البير وكان عمرها إثنا عشرة سنة، من طائفة الروم. فهذا صيّرنا بضيقة عظيمة. وكان الخوري غائبا، فكان المعلّم سليم أيوب، فدقّ الجرس، وجمع الناس لكي يجد من يسبح، أما بنات المدرسة وأنا رحنا أمام ربنا في القربان نصلي، ثم مضينا إلى البير. وحيث كانت المسبحة الوردية على خسرتي (خاصرتي) والدم جرى من شقة قلبي. فمضيت إلى البير وصرخت على البير وقلت: " يا مريم أمنا اطلعيها وعينينا في هذه الضيقة ". ورميت به الوردية الكاملة أي خمسة عشر بيتا. فتهزوا (إستهزأوا) جميعا عليّ قائلين : " صار لها ساعة في البير وماتت ". فرجعت مع البنات للكنيسة أمام القربان وكنّا نصلي الوردية، فبعد برهة وإذا الأخت كترين أتت فرحة قائلة : " هلّموا هلّموا، نصيرة طلعت من البير والمسبحة في عنقها وممسوكة بيديها مع الحبل رموه لكي ينتشلوها به، وكانت مبلولة الثياب فقط، لكن بحال الصحة التامة، تمشي أمام الجميع" وتقول " أنا فرحانة جدا على الذي شفته في البير، رأيت المسبحة مضوية، دخلت في عنقي ومسكت في يدي، وصار كل البير مضوي مثل ضوء الشمع، ورغبتُ أن أبقى هناك دائما وسمعتُ صوتا يقول لي : امسكي في الحبل فمسكت به وها أني ههنا متأسفة على وقت وجودي في البير بضوء المسبحة الوردية". ثم رجع الخوري أسعد لمباردو وعرف هذه الأعجوبة بشهادة أهل البلد. قدّم ذبيحة القداس الكبير شكرا لعزته تعالى. ثم " نصيرة " وأمها واخوتها صاروا لآتين وصارت عبادة حارة لسيدة الوردية بعد هذه الأعجوبة .

حتى أن معلمة بنات البروتستنط، ارتدّت وأمها، والبعض من بنات مدرستها، حتى إنها اشتركت في أخوية الوردية، وباعت لنا الأرض التي تخصّها لكي تعيش من ثمنها، ولا تحتاج البروتستنط. ثم تسكّرت مدرستهم في يافا الجليل. شكرا دائما للعناية الإلهية وإلى أمنا سلطانة الوردية، أمين أمين. فبقيت بها سنتين وتوجهّت.

إلى مدرسة بيت ساحور سنة 1886

في أوّل تشرين ثاني توجهت لمدرسة بيت ساحور صحبة شقيقتي الأم حنّة. وكنّا نعلّم البنات في مدرسة خراب جداً. أما كنّا ننام في بيت صغير في البستان لبينما يتصلّح محلنا. وكنّا نتعجب من فرح الأهالي واجتهاد البنات، وكرامة الخوري حضرة الأب سمعان اسحق كان يساعدنا جدّا لنجاح مدرستنا، وعدد البنات كان نحو 45. وحيث محلنا بابه على طريق التعامرة، كنّا نداوي بعض الأطفال. وبهذه الحجة نعمّد منهم المشرفين على الموت. حتى إن يوم عيد الميلاد المقدس، عمّدنا بنت وولد، الابنة ماتت بعد العماد بثلاث ساعات، والولد مات في اليوم الثاني من عماده. يا لها من تعزية عظيمة أن هذه الأطفال تُصلي لنجاح رهبنتنا في السماء. ثمّ كنّا نسعى لتصليح بيت النوم في قرب المدرسة، لأننا كنّا في تعب وخطر في قوضة(غرفة) البستان. فمرضت رفيقتي الأخت اليظبيت (اليزابيت) وكنت ساهرة عليها.

وإذا خبطة قوية على بابنا، فخفنا جدّا، فصرخت: " يا مريم احمينا، يا مار يوسف ومار أنطون نجونا. أما الأخت اليظبيت، فقد ثُقُلَ مرضها من الخوف وتعذّبنا جدا حيث ما كان ماء في البير، وكنّا نبتاع الماء من عين الرطاس (ارطاس). وحيث الأم روزالي كانت تُرسل لنا الخبز من دارنا من القدس، فكثيرا كان ينقصنا لسبب تأخير المكاري. وغالبا كان يصلنا شيء قليل فكنّا نتعجب ونسأل فالجواب كان كما يقولون : " جعنا وأكلنا في الطريق ". حينئذ كنّا نفرح في هذا العذاب الحلو حبّا بالله وبأمنا الحبيبة سلطانة الوردية. فوجودنا في هذه المرسالية عزيز علينا جدّا حيث هي بلدة الرعاة المبشرين بميلاد مخلصنا الحبيب. فشكرا له تعالى على هذه النعمة الجزيلة.

فبعد تصليح محلّنا للنوم، نقلنا صباحا وتركنا قوضة (غرفة) البستان الخطرة بفرح جزيل. ففي المساء ذاته، وصلتني ورقة الطاعة، لكي أسافر حالا وأذهب باكرا إلى السلط، لمدرسة كبيرة في بلد بدوان العرب. فصار فرحي عظيما، وقدّمت ذبيحة حياتي. والمضي

لتلك البلاد الخطرة كان لديّ حلوا ومفرّحا جدّا. فصباحاً ودعّت هذه المرسلية وزرت مهد الخلاص طالبة النعمة لتتميم ما يجب عليّ فعله لمرضاته تعالى. فيا لها من ذبيحة ما تقدر عليها إلا قوة النعمة المقدسة.

مرسالية السلط في سنة 1887

فبعونه تعالى ونعمة أمنا سيدة الوردية، سافرنا في 23 شباط، صحبة حضرة الأم المحترمة روزالي والأخت روزه والأخت ماتيلد والأخت الحقيرة ماري الفونسين. وكان قايدنا المعلم يعقوب الصاع، ومكاريه أربعة لتحميل الأغراض. في الطريق، ابتدينا نتركز على الصليب،وهو هذا اللطف، أن الأم روزالي وقعت وزاغ كتفها وغشي عليها. فصرنا معذبات في حيرة عظيمة في تلك الأقفار. وما قدرنا نتابع سفرنا. فقرب المساء وفتشنا على محل ننام به تلك الليلة. والتجينا إلى شيخ عرب من سكان البراري الإسلام. فقبلنا بغاية الإكرام والمحبة، وفضّا (فرّغ) لنا بيت شعر واسع مملوء براغيث، فدخلنا به، ووضعنا فراشنا وأدخلنا الأم روزالي الموجوعة. وأحد العرب ردّ كتفها الزايغ من محله. يا له من عذاب مرّ، يا لها من ليلة متعبة جدّا، مقدمة منّا لله على يد أمنا مريم البتول. ثم ضوّا (أشعل) لنا حطبة غليظة وطويلة، وكانت تدّخن جدّا، وكادت تعمينا. فسكبت عيوننا الدموع وصحنا هذا مضرّ للنظر. فأجاب الخواجه الذي وكله الشيخ في حراستنا وقال:" إن هذا هو الضوء الذي يلزم يضيء كل الليل لكي ننجو من هجمات الوحوش". ثمّ أتى الشيخ وقال لنا: " الآن أرسل لكم المهرا التي تبقى عندكم كل هذه الليلة."

فصرنا متحيرات كيف نقدر ننام مع هذا الحيوان! فبعد أتت إمرأة الشيخ فقال لها:" يا مهره، احرسي الراهبات، وابقي عندهنّ طول الليل". وكان لها قصبة (نوع من الغليون الطويل) طويلة تشرب بها وتزيد علينا الدخان. فمهرة كان اسم إمرأة الشيخ. ثمّ ذبحوا خروفا وأرادوا يعشونا. وحيث كان معنا زواده، فأعطيناهم، فعرفوا يأكلوا من زادنا وصاروا ينادون بعضهم بصوت عالٍ قائلين : " تعالوا وذوقوا أكل الملاكات (جمع ملاك) ضيوفنا". ثم جابوا لنا حليبا، أما الصحن فكان قرمية شجرة محفورة مثل حوض أسود وبها كان الحليب الذي قرّفنا. فبعد ساعتين من الزمان عصفت الرياح وهطلت الأمطار الغزيرة. فبيت الشعر كان يصفّي علينا الماء، وتغطينا بلحفنا منبّلة، وحتى ثيابنا غرقت. لكن لما اشتدّ بيت الشعر، عملوا قناية، فصارت الماء تجري حولنا كهدير البحر، واتبدل الشوب ببرد قارص. أما المهرة كانت تزيد سقم الحال بدخان قصبتها التي كانت تسلينا بها. يا لها من ليلة ما أطولها. ثم في الصباح تمّ ضوء الحطبة وصار جمرا، تدفينا عليه، ونشفنا عليه ثيابنا والمهرة غلت القهوة عليه والحليب.

آخيرا بعد الفطور الذي كان في الساعة عشرة سافرنا. أمّا الشيخ ما أراد يقبل منّا مكأفاة لا بل أعطانا فرسه الأصيلة إلى أمنا الموجوعة، وابنه رافقنا لحدّ السهل. وبعد شهرين أتى عندنا مع امرأته المهره، وحينئذ كفيناه (كافأناه) حسب عادة أهل تلك البلاد. فحين دخولنا مدينة السلط، استقبلنا حضرة الأب الخوري يوسف غاتّي وحضرة الخوري أسعد سوداح المحترم. مع أكابر البلد حتى كم واحد من أهل الحكومة. وصار لنا دخلة ما نستحقها وبقينا ضايفين عند حضرة الخوري نحو عشرة أيام، لحين ما رتبنا مسكننا الذي كان قبواً تحت الكنيسة، وبه أيضا كانت المدرسة للبنات. فابتدينا بتعليم البنات وتربية أخوية النساء. فعدد البنات كنّ 146 مائة وستة وأربعين، وعدد النساء المشتركات في الأخوية 86 ستة وثمانين. أما الجهل ونقص الديانة كان في تلك البلاد والأيام كان محزنا جدّا، وعدم تهذيب أهل طائفتنا، الذين خصوصا كانوا يسكنون البراري في بيوت الشعر، ويأتون إلى البلد مرّة في السنة في عيد الفصح، والخوري كان يزورهم مرتين أو ثلاثة في كل سنة، ويجهلون أمور الديانة حتى إنه في أول فصح حضرنا هناك، رأينا النساء والبنات يتناولن القربان الأقدس بدون استعداد، لا اعتراف ولا صيام من نصف الليل ولا صلاة، وشفنا كثيرات يأتين من الباب إلى المايدة المقدسة حيث كان الخوري يقرّب ويتناولن السر الأقدس بهجمة لا تقدّر. يا أسفاه على هذه المناولة، فحملنا ضميرنا على أن نترجا الخوري على أن يوقف المناولة إن أمكن، حيث أن البعض كنّ يتناولن أكثر من مرّة في وقت واحد. وبعد كنّا

نسأل النساء والبنات، متى اعترفن؟ فكنّ يجيبونا، اعتراف ما نعرف، نأتي ونتقرّب مرّة في السنة، وصيام من نصف الليل؟ ما نعرف. أفطرنا شيء صيامي خبز وسماق، وكنّ يؤشرن على غيرهنّ اللواتي أفطرن حليب وجبن ثم تناولن حالا. يا أسفاه على هذا الجهل. حينئذ ابتدينا نعلمهنّ الواحدة بعد الأخرى أخصّ أسرار الديانة، وكيفية قبول الأسرار، وما كان يدخل في تلك العقول أن الاعتراف لله عن يد الكاهن المتصرف يغفر الخطايا.وبعض أوقات قبل ما ندخل الكنيسة، البعض من النساء كن يشدّن في ثيابنا قائلات:" عرّفونا أنتن، للراهبة نقرّ بكل خطايانا، أما للخوري ما نقرّ. إن الراهبة لبسها أسود فيلزم أن تعرّف ". أوقات كنّا قاعدات في الساحة قدّام باب الكنيسة يشربن دخان بقصبة طويلة، والبعض منهنّ تقول لراهبة لما تدخل الكنيسة:" يا مسير لك أعترف بكلّ شيء عملت، إني سرقت لكي أطعم القواريط (الأيتام) وقتلت الناس بيدي ولساني، وأبغض سلفتي، ولا أسمح لعدوّتي أبدا إلى آخره..." وما كنّا نقدر نسكتهنّ عن هذا الإقرار في العالي، أما للخوري غير ممكن أن نعترف.

ولما كنا نبدأ فرض السيّدة بعد القداس، كنّ يجمعن بعضهنّ من الحارة صارخات: " هلمّ قد ابتدأ في قداس الراهبة ونفهم به عربي". فبعد سماعنا كل هذه الجهالات، عزمتهنّ لمحلّنا كل يوم أحد بعد القداس للفطور. وبعده نعلّم التعليم المسيحي وكيفية قبول الأسرار، وخلوص العبادة إلى أمنا مريم البتول سلطانة الوردية، وبعنايتها أتت لنا أن نُدخل الديانة المسيحية في تلك العقول البسيطة جدّا .

لكن كان لهنّ عوايد محزنة تفتت الأكباد وهي، أن التي تزعل من أهل بيتها تأخذ مرسه (حبلة) وتروح تفتش على شجرة بعيدة وتشنق حالها تموت... إنه في يوم 11 أيار كنّا كلمنا البنات عن إفادة تلاوة المسبحة الوردية. وحرضناهنّ أن عوض ما يلعبوا بروحهنّ في محل التنزه ويصلوا المسبحة أحسن

فبعد المدرسة، البعض توجهنّ بعيدا وكنّ يقلن فيما بينهنّ نروح بعيدا ونعلّي صوتنا في الصلاة حتى يُسمع في السماء. فوصلن عند شجرة ووجدن معلّق بها إمراة مشنوقة ومعلّقة بمرسه. فحالا، البعض طلعوا على تلك الشجرة وفكّوها، وغيرهنّ مسكن برجليها ونزّلوها. فوجدن أن بها روح تتحرك، فأخبرن الخوري. حالا توجه مع غير رجال وجابوها لمحلنا ورويدا رويدا رجعت للحياة. فعرفنها جميعاً أنها من نساء طائفتنا، كانت زعلانة مع حماتها وفضّلت الموت على الصبر. وخبرونا عن كثيرات قد متن على هذه الصورة. وفي حارة الكراد، نساء كثيرات كنّ يرمين ذاتهنّ في البيار (جمع بئر) ويمتن. فكم وكم من العوائد الممقوتة وجدنا بشغلات النساء. لما يمرض أحدكن يجبن ترابا من مغارة الفقير أي درويش المسلمين ويبخروا المريض ويذوبوا التراب ويسقوه هذا الدواء. معتقدين بشفا(بشفائه). ويلتجين إلى السحرا ويلبسوا أوراق السحر، ويلتجوا إلى الشيطان بفتح المندل لوجود الأشياء المفقودة، وكلّ هذه الأشياء وغيرها كانت شغلات نساء أخويتنا ويعملن هذه وغيرها كأنها معجزات. آه! كم لزم من التعب لكي نقدر نستأصل هذه من نساء طائفتنا.

أما جوازهنّ كان، أن يشتروا البنت ويفصلوها كم تسوا من الدراهم أو حيوان، أَمِنْ فرس أو ثور أو حمار... وفي حفلة العرس كانوا يزفوا هذا الحيوان مزيّناته على رأسه وظهره هو بكثرة البرابيش مغنين هذا ثمنها وغير عوايد نسكت عنها لأجل الاختصار .

ثم بعد رجوعي من السلط بعد سنتين، توجهت إلى نابلس. هذه المدرسة فُتحت عن يد مير مريم، وحضرة الأب المحترم الخوري أنطون رزق. هناك عدد البنات كان قليلا، وديانة برده (باردة) جدّا. لكن بعد ما صار أخوية أمنا مريم البتول، صار نشاط أكثر في الديانة والعبادة. ولما زار سيادة بطركنا " لودوفيكوس بيافي " كان نجاح غير اعتيادي في المدرسة وعدد البنات كان نحو 45 منهنّ

19 لآتين والباقي روم ومسلمات ويهود. فغبطته بعد الفحص الذي سرّه جدّا، أخذ أسماء البنات جميعا، وطلب أيضا عدد بنات الأخوية، وأنعم عليهنّ بأيقونات فضّة كبار، فلبسن الإيقونات متشكرات فضل غبطته.

فبقيت هناك سنتين فقط، وأخذت مرضا شديدا سخونة صفراويّة ومكرين (ميغرين) .ومن جرّاء ذلك، بقيت طريحة الفراش في ديرنا في القدس سنة كاملة. وفي هذه المدّة، تجرّعتُ كأس العذاب المرّ، من قبل الأم روزالي التي كانت تبغضني جدّا، مع البعض من خواتي المحبوبات. فكنت أشكره تعالى وأكرّر: " كلّ هذا لأجل إكرامك يا مريم " فبعد شفاي ذهبت إلى الزبابدة. فهذه المدرسة فُتحت عن يد مير روجينا كارمي، في وقت حضرة الخوري فرنسيس الكرت، الذي كتب حوادث كثيرة عن تقدّم ونجاح حرارة الديانة والعبادة، التي صارت بوجود راهباتنا بمعونة أمنا مريم البتول سيدة الوردية. فاستقمت سنتين ومن هناك مضيت إلى النصرة (الناصرة) وهناك جرت لنا الفاجعة المرّة والشديدة المرارات انتقال أبينا ومؤسسنا الأب المحترم الخوري يوسف طنوس وتركنا جريحات الفؤاد بحزن مميت على فقده. يا لها من خسارة عظيمة، فقد حياته الثمينة، وتركنا في هذا الوقت العسر، والكلي العازة لهذا الأب الحنون والمؤسس الغيور، فصبرنا وتجرعّنا كأس هذا الصبر المر خاضعات لمشيئته تعالى القدوسة قائلات: " فلتكن مشيئتك يا رب آمين " فقبل وفاته بساعة، كلّمني وحدي مدّة ساعة، وقال لي : " خذي بركتي الأخيرة، وأسفا عليك إن كنت تبقي طويلا في هذه الحياة بعد موتي، لأنهنّ يعذبوك جدّاً يا مسكينة بينهنّ ". فجاوبته " لا بأس من عذابي، أنا ذبيحة الوردية، أرغب فقط أن تكون مرتاح في الديار السماوية، وراحتك هي راحتي، إنّ أمنا الحبيبة التي خدمتها في الحياة، ستأتي وتساعدك في هذا الوقت." جاوبني : " ما أحلى الموت، ما هو صعب، فقط مريم طوّلت، متى تجيء يا تُرى ؟ " فباركني والتفتَ نحو صورة مريم العذراء وشهق وسلّم روحه بيد الله. وصارت عيونه تلمع كضوء الشمس. وقبل وفاته قال لي: " إن أختك ريجينا تحسب واحدة منكم كما وعدتها ؟" وقبل موته بعشرين يوما، أوصاني بافتتاح مقوى (مأوى) لليتيمات في بيت لحم، ومشغل للفقيرات للبنات الكبار حتى يكسبن معيشتهنّ بصطرة (بسترة). وقال لي : " إن ربنا شفاني، أوّل شغل أعمله هو هذا. وإلا اعملي مجهودك بهذا، ثم أخبرني أن حضرة الخوري فرنسيس فرّا يرغب جدّاً جدّاً وجودنا هناك. وهو وعد أن يساعدنا ويصير خير لخلاص الأنفس إن أراد الله تعالى ". ثم رجعت لمحل إقامتي في قرية الزبابدة . وبعد ثمانية أشهر، قد توجهت إلى ديرنا في القدس، لأجل أشغال ضرورية. فبعد أن قضيتها، استعديت للرجوع إلى الزبابدة. وقبل توجهي بساعتين، وإذا بتحرير من غبطته سيدنا لودوفيكوس بيافي يطلِبني للمواجهة. فعند ذلك قال لي أن أذهب حالا إلى بيت لحم وأفتح محل باسم مشغل للفقيرات حالا وسرّاً، لأن مضم (مدام) بيكار، طلبتْ منه أن يرسلنا على نفقتها. وعطتنا خمس مائة فرنك كمبدا، ووعدتْ بنفقة إن أراد يختم لها على تحرير، توجهه لدير الشرطريز في فرنسا. فغبطته وعد بذلك. فتوجهت مع الأخت جوزفين أبو صوّان، وكان ذلك في شهر حزيران سنة 1893 يوم عيد قلب يسوع الأقدس. بالاتكال عليه وعلى أمنا الحبيبة سلطانة الوردية، فواجهنا حضرة الأب الخوري فرنسيس فرّا، فقابلنا بخلوص البشاشة ووعَدَنا بالمساعدة على قدر الإمكان والسعي لوجود محلّ يلائم قصدنا. فاستأجرنا بيت واحد في دار الخواجة مبارك دعيق مؤقتا. فأتين عنده عدّة بنات ونعلمهنّ القراءة والكتابة والتطريز وتخريس المسابح. وتعزيتنا كانت عظيمة بفقرنا الزائد الحد. " وكنّا نقدّم احتمال هذا الفقر تعويضا لما ينقص ويخالف بنذر الفقر في رهبنتنا". ونفرح مسرورات بالاشتراك بفقر العيلة المقدسة، في البلد ذاتها التي بها احتملت عذاب الفقر الكليّ. يا لسعادتنا بنول هذه النعمة من كرم الطفل يسوع. ثم انتقلنا لدار الخواجة ميكيل. وهناك صار وساع أكثر لمشغلنا. فكانت بقرب الدار جارة فقيدة النظر، هي قرينة حنا عيسى القطان. حتى إن الحكيم " باكر " قطع الأمل من شفاها. فعند زيارتها طلبنا قدح ماء، ووضعنا به المسبحة الوردية، وقترنا (قطّرنا) عيونها وصلينا جميعا مع أهل بيتها (خمسة عشر السلام لك يا مريم) وتركنا لها الاستعمال. في الغد طلبوا منّا ماء المسبحة الوردية ثانيا، وقالوا إنها صارت أحسن. وبعد كم يوم شُفيت وقدرتْ تأتي للكنيسة. والآن تخيط وتطرّز. وكل هذه الإنعام بشفاعة أمنّا مريم البتول. ثم انتقلنا إلى دار عبد الله دعيق. فهناك

توسعنا اكثر، وصار عدد البنات نحو خمسين والنسوان في الأخوية 39 التي ترتبت بسماح الأب الخوري فرنسيس فرّا. وكنّا نجمع أشغال من عند التجّار، خيطا (خياطة) وتخريس مسابح وتطريز بشاكير (محارم) وكنا نعطيهنّ الأجرة كل جمعة. وهذه الإفادة الزمانية صارت واسطة لممارسة العبادة وتنويرهنّ في الديانة. ورهبان مار يوحنا عبد الله الذين في سبيطار (مستشفى) الطنطور، اعتنوا في تسليك مشغلنا، ونفعونا جدّاً بشفقة عظيمة. ويرسلوا لنا ما يلزم للخياطة لهم وإلى السبيطار. وهذا كان يشغل بنات كثيرات العدد. فحظنا كان سعيدا أن نُعين خوات المسيح. فصار عندنا داخلية، الأولى لوشيا ابنة يوسف غطّاس، وثانية وديعة ابنة الياس دانييل، وثالثة أجني ابنة رفايل غطاس ثم غيرهنّ وغيرهنّ... ثم انتقلنا لدار يوسف لولص بقرب كنيسة قلب يسوع في مقوى (مأوى) الأيتام. فالذي أحوجنا بتغيير هذا المحلّ، هو وجع العيون الذي أصابني وأصاب رفيقتي الأخت دومنيك. فهذا المحلّ صار موافق لغاية مشغلنا. وكثر عدد البنات والنساء، وزادت العبادة نجاحاً. فصباحا بعد القداس، كان الدرس وتسميع المثايل (الدروس) لمن ترغب أن تتعلم والشغل اليدوي للحصول على المعاش. وبعد الظهر الشغل أيضا. وفي الوقت ذاته تتلى المسبحة الوردية الكاملة، كل واحدة تقول بيت والباقي يردنّ، بعد هذا تصير قراءة روحية وتفسير على التعليم المسيحي، وكيفية ممارسة الديانة، وخلوص العبادة الحارّة لسيدتنا مريم البتول. فيوما ما تشرفنا بزيارة الأب المحترم الخوري فرنسيس فرّا، وانسرّ جدّاً من هذه الممارسة، وجمعية البنات والنساء، وصار لنا شغل لمخزن الفرنسيسكان من القدس، أي تخريس مسابح عن يد الخواجة منصور كردي. وهذا نفع البنات أكثر وأكثر. أما مضام (مدام) بيكار كتبت لنا الاستعذار بأنها ما تقدر تدفع لنا شيئا لأن سيدنا " بيافي " ما أراد أن يختم تحريرها لدير الشرطريز (Les Chartreuses) قائلا : " انه ما يختم لأنه بهذا كأنه يشحد من الفرنساوية، وأن كفّه مليان ذهب فيعطينا ". مع ذلك ما شُفنا شيء من هذا الكف المذهّب.

ثم يوما ما كنت مريضة، وإذا على غفلة شرّفنا سيادة القنصل الفرنساوي مسيو لضو (ليدو) ونظر المشغل مملوء من البنات والنساء، فانسرّ جدّاً باجتهادهنّ، وقال لي: " انه أتى لكي يعرف كيف صار وجودنا في بيت لحم. حيث صار سبب غيرة لغير راهبات. ومن يعطينا معاش؟" فشرحت له الكيفية، وحيث مضام (مدام) بيكار ما تقدر تعطينا معاش، فكري أن أسكّر المحلّ. فأجابني: " كلا ثمّ كلا، لا تسكّري نقص اتكال على الله تعالى وأن سيدته (زوجته) تعتزّ بنا، وطَلَبت لنا من الحكومة الفرنساوية معاش" فحالا جاوبت حضرته بالإيجاب. وزادت على ما كانت تعطينا في القدس، خمس مائة فرنك بزيادة. كان مُرتب لرهبنتنا ألف وخمس فرنك خارج عنك. فترتب سنويا ألفين فرنك لسبب ديرنا في بيت لحم. فبلغني ذلك، فمضيت لعنده ممنونة ومتشكّرة أفضاله العلوية. وهذا في سنة 1895 ألف وثمان مائة وخمسة وتسعين. لكن بعد هذا ربنا رزقنا أشغال مفيدة وحسنات، التي كانت تكفي لمعاشنا الاعتيادي حتى كفو لدفع أجار الدار. فما أخذنا ولا مرّة، الخمس مائة فرنك، لأن ما صار لنا عازة. فحبينا أن هذا المبلغ يبقى في ديرنا. وهذا كان بمعرفة الأم الرئيسة حنة، لأن كل سنة كان يزيد الداخل على الخارج شويّة، وربنا مالنا (ودبرنا حالنا) من كرمه، بالخبز اليومي فله الشكر الدايم على اعتنائه في خلايقه جميعا. أما العبادة لمريم سلطانة الوردية، صارت تزداد يوما فيوما. ففي ذات يوم كنّا جميعا في الحضير (الملعب) ننقي قمح بحد البير. فبدينا نصلي ورديتنا حسب العادة، وبعد أسرار الفرح، صار خبط شديد في البير حتى بالكاد نقدر نسمع بعضنا لتتميم تلاوة الوردية . فارتسمنا باسم الصليب واسم مريم العذراء، وفتحنا البير، وإذا حيّة كبيرة في الماء تحرّك وتخبط أوقات تنقلب رفيعة طويلة، وغير أوقات رفيعة، وغير مرات يكون بها أطرف شوك ضخم. فأتو (فأتى) الناس والشغيلة الذين حولنا واستعملوا وسايط لإخراجها، فما أحد قدر على ذلك. فأتوا راهبات المحبة، وأيضا كاهن من السالزيان وصلّى وكبّ ماء مقدس في البير، وسكت الخبيط وسكّرنا البير .

وفي الغد فتحنا البير، فصار حسب العادة صافي رايق. فبالاتكال على الله تعالى شربنا جميعا لحدٍّ آخر الصيف. ولما خلصت الماء غسلنا البير وهو عامر وما به ولا خزق أبدا. فاستنتجنا أن الشيطان انجكر من كثرة تلاوة المسبحة الوردية، صار يخبط في البير.

أما هذه التجربة ما أخافت أحداً بل زادت العبادة لمريم أمنّا. وكان بقرب دارنا الخواجة جبرائيل الدبدوب مريض وعلى آخر أنفاسه، وكان الأب الخوري ينازعه، فاستدعونا أهله لكي نحضر موته ونصلي لأجله. فوجدناه مبلول بعرق الموت، ولفق وسلّم روحه. فصاحوا أهله وولولو، وأخته سارة قدّت (شقّت) ثوبها حسب عادتهم وقت موت أقربائهم. فقلت للخوري:" مهلا، ربما أنه ليس مايت" . وأخذنا كباية ماء وأعطيناه وصار يبلع من ماء المسبحة الوردية التي وضعتها في كباية الماء. وطلبنا شيئا ما لنجرّب إن كان يقدر يتقوّت، فأتوا بمربا سفرجل وجربنا ، فصار يأكل ، رويدا رويدا رجع للحياة بشفاعة سلطانة الوردية، التي وضعت مسبحتها في قدح الماء. فجميع الحاضرين شكروا مريم البتول أمّ الله، وزادوا في الحرارة بعبادة الوردية. لكن عدم وجود دار موافقة لمشغلنا كان يهمنا جدّاً، وهذا من سبب فقر الحال وعدم القدرة لعمار الدار. فكنّ نتعذب جدّاً، وحضرة الخوري فرنسيس كان يشور علينا أن نروح بعض محلات لكي نستأجر دار، فكنت أدور أنا وأختي الأم حنّة، ويرسلنا من محلّ إلى غيره كل سنة، لمدة خمسة عشر سنة حتى كلّينا وتعذبنا من التفتيش. فشكرا لأمنا الحبيبة التي تنازلت وأشركتنا بعذابها هذا. وعدم وجودها في هذه البلد المقدسة سوّى مغارة فقيرة جدا لسكناها. يا ما أحلا عذاب عيشة الفقر التي لدينا حلوة بالاشتراك بفقر العيلة المقدسة .

عرفنا سابقا من خلال قراءتنا للصفحات الأولى لنشأة الرهبانية أن الأم البتول اختارت كاهنا لمساعدة ومساندة الأم ماري الفونسين في تأسيس رهبانية الوردية. فمن هو هذا الأب المُختار؟

الأب يوسف طنوس " وضعت إكليل النجوم على رأسه"

في إحدى الرؤى شاهدت الأم الفونسين الأب يوسف طنوس وعلى رأسه إكليل مرصع بالنجوم وسمعت هاتفا داخليا يقول إنه المرشد الذي اختارته السماء .

وبينما كانت الراهبة مضطربة وحائرة تراءت لها العذراء ثانية وقالت لها :" أما فهمت بعد؟ هوذا المرشد الذي أوحيت إليك به في الرؤيا. إنه الأب يوسف طنوس الذي وضعت إكليل النجوم على رأسه. وأعطيك إياه مرشدا ومدبرا لك. وأنا أعينه وأجعله يهتم ويعتني برهبانية الوردية."

الأب يوسف طنوس من الإكليروس البطريركي اللاتيني الأورشليمي، ولد في الناصرة عام 1838 وكان والده زعيم طائفة اللآتين هناك وقد سيم كاهنا للرب عام 1863. وفي عام 1866 شغل منصب سكرتير القصادة الرسولية في بيروت ثم منصب أمين سر البطريركية اللاتينية في القدس. وفي المجمع الفاتيكاني الأول عام 1869 اختاره غبطته مستشارا لاهوتيا له. ولم تحل هذه المناصب الكثيرة بينه وبين العمل المباشر في ميدان الرسالة، لا سيما بين صفوف الشباب ووجّه عناية خاصة إلى أخوية " بنات مريم " وكان مقرها لا يزال في مدرسة راهبات القديس يوسف.

فكرة تأسيس رهبانية عربية لم يكن بالأمر الجديد بين فتيات الأخويات كما اشرنا. وقد أخذ الأب يوسف طنوس يعمل الفكر في أمور كثيرة تخصُّ الرهبانية المقترح تأسيسها وتخص اسمها وروحانيتها وقوانينها وأهدافها ومقرها. وفي غضون ذلك أقبلت إليه الأم ماري الفونسين رسولة من قبل العذراء، ووجد في حديثها ضالته المنشودة، فاستولى عليه آنذاك ذهول شديد. فسأل الراهبة بعض الأسئلة كي يطمئن إلى رجاحة عقلها ورصانتها. وكان يعرف الشيء الكثير عن فضائلها وغيرتها.

واقتنع أخيرا بصدقها وصحة الرؤى ومصدرها الإلهي. وطلب منها أن تصوغ مسودة قانون للجمعية بناء على ما شاهدت وسمعت من العذراء ثم أمرها بتدوين رواية الظهورات وما أوحت به العذراء بشأن الرهبانية الجديدة، ولا سيما ما أدلت به خلال ظهورها في الثامن من تشرين الثاني 1879.

لقد تدخلت العذراء سيدة الوردية، وبطريقة لم نعهدها في تأسيس الرهبانيات. وبتدخلها الفريد تؤكد الكرامة الفريدة التي خصّت بها فتيات بلادنا والضرورة الملحة لتأسيس رهبانية الوردية الأورشليمية. إنها في مجدها السماوي، اختارت للشروع في التأسيس الأخت ماري الفونسين من القدس الشريف " مدينة سر الفداء " والأب يوسف طنوس من الناصرة "مدينة سرّ التجسد". هذه هي القاعدة الثلاثية لنشأة الوردية. إننا نشتمّ منها عبير الأرض المقدسة بأسرار ديانتنا العظمى: التجسد والفداء والمجد الذي تجلّى في سيدنا يسوع المسيح وأمنا مريم البتول والمزمع أن يتجلّى فينا.

اعتادت البطريركية اللاتينية ورهبانية الوردية أن تعتبر الأب يوسف طنوس مؤسسا للرهبانية. وفي سنة 1927 عندما انتشر سرّ الأم ماري الفونسين، أخذت الرهبانية تعتبر هذه الراهبة المتواضعة، مؤسسة مع المؤسس، وأخذت تضمّ صورتها إلى صورته. وأخذ بعض الناس يركزون على دور المؤسس، وغيرهم على دور المؤسِّسة. إلا أننا استنادا إلى الرؤى التي حظيت بها الأم ماري الفونسين ونحن نؤمن بها وإلى قداسة حياتها وتواضعها نقول :

بأن الأم البتول، سلطانة الوردية، هي المؤسسة الأولى للرهبانية، وقد هيأت الأم ماري الفونسين لهذه المهمة، ووجهتها إلى الأب يوسف طنوس ليكون لها مرشدا، ويقوم وإياها بالتأسيس.

لقد كانت الأم ماري الفونسين راهبة تقية متواضعة في رهبانية القديس يوسف للظهور. وكانت سعيدة في حياتها الرهبانية، تعيش عطاء ذاتها لله حبا وطوعا دون حدود. ولم يخطر على بالها قط أن تترك رهبانيتها لتؤسس رهبانية جديدة لولا إرادة العذراء الساطعة التي كشفتها لها في الرؤى. فكانت صعوبتها الأولى والكبرى أن تترك رهبانيتها التي أحبتها وأخلصت لها بالإضافة إلى ذلك لم تكن تمتلك أية مقومات مادية أو اجتماعية أو كنسية لإنشاء رهبانية جديدة. ولكنها كانت تمتلك " العمود الفقري " لكل رهبانية جديدة، وأعني به الحياة الرهبانية الأصيلة في أبهى معانيها الروحية والكنسية وكان لا بدّ من أن تتوافر حياة رهبانية مثالية لتأسيس الرهبانية وانطلاقتها، فحظيت الأم ماري الفونسين باختيار الأم البتول لها. وأرادت الأم البتول أن ينمو فيها روح التواضع وقداسة الحياة الرهبانية، فاختارت لها أن تعيش السر العاشر، سرّ موت يسوع والفداء حتى في تأسيس الرهبانية، وأن يبقى سرها مكتوما حتى مماتها، إلا عن البطريرك منصور براكو ومرشدها الأب يوسف طنوس. " بنت الملك جمالها في داخلها"، والسماء ترفع المتواضعين، وكل ذلك يزيدنا اقتناعا بأن المؤسس الأول والرئيسي هي الأم البتول.

كذلك لم يكن هنالك غنى عن كاهن للشروع في التأسيس، وبخاصة نظرا لمعطيات البيئة الكنسية والاجتماعية التي كانت مسيطرة آنذاك في بلادنا.

إن تأسيس رهبانية لا يمكن أن يتم إلا ببركة السلطة الكنسية وتشجيعها. ولا يدور في خلد أحد أن الأم البتول في تأسيس الرهبانية، تخرج عن السلطة الكنسية، وعما هو مطلوب ومقبول كنسيا، ولذلك نراها تختار أيضا الأب يوسف طنوس، أحد كهنة البطريركية اللاتينية للشروع في التأسيس مع بقاء الأخت ماري الفونسين مجهولة لا يبرز دورها للعيان.

وقد كان الأب يوسف طنوس مطّلعا على حقيقة تدخل الأم البتول لتأسيس الرهبانية، من خلال الأم ماري الفونسين التي ائتمنته سرها.

وفي وصيته التي حررها في الأول من شهر أيلول سنة 1886 أي قبل وفاته بست سنوات وبعد النذور الأولى للفوج الأول من الراهبات، قال:" أي جميل وشكر أن أقدّم لك يا مريم أمي الحنونة سيدة الوردية المقدسة، على النعم والخيرات والمواهب جميعها التي حصلت عليها بشفاعتك، حسبما اختبرت بالامتحان مدة حياتي كلها، لا سيما في إنشائك رهبانية الوردية المقدسة."

وفي وصيته الأخيرة التي كتبها في أثناء مرضه الأخير قال موجها كلامه إلى الراهبات:" ما وجدنا سببا لتعزيتنا إلا أن نقدّم ذاتنا وحياتنا ضحية لتكون أساسا للرهبانية مستودعين إياكن لسيدة الوردية وللمراحم الإلهية، وهي التي استخدمتنا كآلة لتأسيس هذه الرهبانية "، فالأب يوسف طنوس كان يدرك تماما بأن المؤسس الأول هي الأم البتول سلطانة الوردية، وإنها اختارته كما اختارت الأم ماري الفونسين للشروع في هذا التأسيس. وقد كان يوّقع رسائله العديدة لبناته الراهبات: " أبوك الخوري يوسف " ورسائله الرسمية " " رئيس الرهبانية. "